

(١)

نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم) في ذكرى مولده

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **وبعد:**

فإن الله (عز وجل) قد اصطفى نبيه (صلى الله عليه وسلم) على الخلق جميعاً، فشرح له صدره، وأعلى شأنه، ورفع ذكره، وجمع له مكارم الأخلاق والآداب، فقال سبحانه: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }، وإن الرحمة لمن عظيم الأخلاق التي تحلَّى بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقد ظهرت آثارها على البشرية كلها؛ لأنها رحمة ربانية ألقاها الله (عز وجل) في قلب نبيه (صلى الله عليه وسلم)، حيث يقول سبحانه: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ }، ويقول (صلى الله عليه وسلم) عن نفسه: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ }.

ولقد تنوعت مظاهر الرحمة في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، فكانت رحمة عامة شاملة لكل مناحي الحياة، تخفيفاً عن الناس، ورفعاً للمشقة والحرَج عنهم - لا سيما الضعفاء منهم - يقول (صلى الله عليه وسلم): { لَوْلَا أَنِ اشْتَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَالِكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ }، ويقول (صلى الله عليه وسلم): { عَلَيَّكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا }.

وكذلك من مظاهر رحمته (صلى الله عليه وسلم) أنه ملاذ الناس يوم القيامة يستشفعون به عند الله سبحانه، فيغيثهم، ويشفع فيهم، فقد ادخر (صلى الله عليه وسلم) دعوته شفاعاً لأُمَّته، وقد تلا (صلى الله عليه وسلم) قولَ الله (عزَّ وجلَّ) في إبراهيمَ

(٢)

(عليه السلام): {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي}، وَقَوْلَ عَيْسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ): {إِن تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: (اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي)، وَبَكَى...، فَقَالَ اللَّهُ (عز وجل): (يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَرُّضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ).

لقد خص نبينا (صلى الله عليه وسلم) فئات معينة بمزيد من الرحمة، منهم: **الصغير واليتيم**، فكان يحنو على الصغار، ويداعبهم، ويقبلهم، فحين قال أعرابيُّ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): {تُقبَلون الصَّيَّانَ؟! فَمَا تُقبَلُهُمْ}، قال (صلى الله عليه وسلم): (أَوَأَمَلِكُ لَكَ أَنْ تَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟!)، وأوصى (صلى الله عليه وسلم) باليتامى، ورفع شأنهم، وشأن من يكفلهم، يقول (صلى الله عليه وسلم): (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا)، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وعندما جاءه (صلى الله عليه وسلم) رَجُلٌ يَشْتَكِي قَسَاوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) له: (أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَنَّ قَلْبُكَ؟) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (ارْحَمِ الْيَتِيمَ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُلِينُ قَلْبَكَ، وَتَقْدِرُ عَلَيَّ حَاجَتِكَ).

ومنهم: **كبار السن، وذوو الهمم**، فقد حرص النبي (صلى الله عليه وسلم) على الاهتمام بهم وجبر خواطرهم، وجعل (صلى الله عليه وسلم) توقيدهم واحترامهم إجلالا لله (عز وجل)، يقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ تَعَالَى: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ...)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لَيْسَ مِنَّْا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا)، وكان (صلى الله عليه وسلم) يراعي ذوي الهمم والقدرات الخاصة، ويساندتهم، ويلفت الأنظار إلى مميزاتهم وقدراتهم، فقد اتخذ النبي (صلى الله عليه وسلم)

(٣)

وسلم) عبد الله بن أم مكتوم (رضي الله عنه) مؤذناً له، واستخلفه (صلى الله عليه وسلم) على المدينة مرتين يصلي بالناس.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) للإنسانية على مر التاريخ أعظم الأمثلة في الرحمة، فلم تقف مظاهر رحمته (صلى الله عليه وسلم) عند حدود البشر فحسب، بل اتسعت لتشمل **الطير، والجماد، والحيوان**، وقد بشر (صلى الله عليه وسلم) كل من يرحم الحيوانات بعفو الله تعالى ورضوانه، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ التُّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأْ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ).

وهذه الصور العظيمة للرحمة التي أسكنها الله (عز وجل) قلب نبيه (صلى الله عليه وسلم) أكبر دليل على سماحة الإسلام، ورحمته ويسره، فشريعة الإسلام هي شريعة السلام، والرحمة، واليسر بكل معانيها، فلنتراحم فيما بيننا، ولنرحم من في الأرض ليرحمنا من في السماء، فقد قال: (صلى الله عليه وسلم): (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ).

اللهم ارزقنا الرحمة في أقوالنا وأفعالنا، وشفِّعنا فينا نبينا (صلى الله عليه وسلم)